

بسم الله الرحمن الرحيم

السُّنَنُ الإِلَهِيَّةُ لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ

العلامة/ عبد الكريم الخضير

{فَحَقُّ وَعِيدِ} (14) سورة ق] أي وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك، يعني السُّنَّةُ الإِلَهِيَّةُ بالنسبة للمُخالفين لا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ، فمتى وُجِدَتِ المُخَالَفةُ، وأيسر من الاستجابة حقَّ الوعيد، وحَقَّتْ كلمةُ العذاب، والسُّنَنُ الإِلَهِيَّةُ لا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ، وما نعيشُهُ في زماننا من مُخَالَفاتٍ مع أَنَّ الله -جل وعلا- يُوالي علينا من النِّعم ما لا نُقْوَمُ بِشُكْرِهِ يُخْشَى مِنْهُ من سُوءِ العاقبة، فلو قرأنا في المُجَدِّدِ السَّادِسِ من نَفْحِ الطَّيِّبِ وجدنا الصُّورَةَ مُطابِقةً؛ لكن نسأل الله -جل وعلا- أَنْ يَتَدَارَكُنَا، وَأَنْ يَرُدَّنَا إِلَيْهِ رَدًّا جَمِيلاً، فَالسُّنَنُ الإِلَهِيَّةُ لا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ، يعني ما اسْتُنْتِنِي مِنَ الوَعِيدِ الذِّي حَقَّ عَلَى هَؤُلَاءِ المُكذِّبِينَ إِلَّا قَوْمٌ يُؤنَسُ، اسْتُنْتِنُوا لِمَا رَأَوْا العَذَابَ آمَنُوا وِإِلَّا حَقَّ الوَعِيدُ وَرَأَوْا العَذَابَ مَا فِيهِ سُنَنٌ لَا تَتَغَيَّرُ وَلَا تَتَبَدَّلُ، مَا فِيهِ إِذَا رَأَيْتَ المُقَدِّمَاتِ مُقَدِّمَاتِ الفِتَنِ وَالمُقَدِّمَاتِ الشُّرُورِ وَالعَذَابِ تَقُولُ: آمَنْتَ، مَا يَكْفِي، أُعْطِيتَ فُرْصَةً وَمُهْلَةً وَعِنْدَكَ مَا يَدُلُّكَ عَلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ وَمَعَ ذَلِكَ خَالَفْتَ بِطُوعِكَ وَاخْتِيَارِكَ تَحَمَّلْ، يَقُولُ: **{فَحَقُّ وَعِيدِ}** وَجِبَ نَزُولُ العَذَابِ عَلَى الجَمِيعِ فَلَا يَضِيقُ صَدْرَكَ مِنْ كُفْرِ قَرِيشِ بَكَ، وَفِي هَذَا تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَإِنْ كَانَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَعْني الأَرْجَحُ عِنْدَهُ وَالمُفَضَّلُ عِنْدَهُ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ، وَيَنْجُونَ بِسَبَبِهِ؛ لَكِنِ الذِّي يُخَالَفُ مَعَ الإِصْرَارِ وَالعِنَادِ يَتَحَمَّلُ، الذِّمَّةُ بَرَّتْ مِنْ تَبْلِيغِهِ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الدُّعَاةُ إِلَى اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، أَوَّلًا: يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَأَنْ يَقْتَدُوا بِنَبِيِّهِمْ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَمَا عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا البَلَاغُ، كَوْنِكَ تَدْعُو وَتَدْعُو وَتَدْعُو وَلَا تَرَى مُسْتَجِيبًا لَا يَعْني إِنَّ هَذَا خَلَلَ فِيكَ أَوْ فِي دَعْوَتِكَ؛ وَإِنَّمَا النِّتَائِجُ بِيَدِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- وَالقُلُوبُ بِيَدِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، أَنْتَ عَلَيْكَ أَنْ تَبْدَلَ السَّبَبَ تَأْمُرُ وَتَنْهَى وَتَدْعُو إِنَّ اسْتِجَابَ المَدْعُوِّ وَإِلَّا فَالْأَمْرُ لَيْسَ إِلَيْكَ **{لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}** (128) سورة آل عمران] هَذِهِ قِيلَتْ فِي أَشْرَفِ الخَلْقِ، فَلَا يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمِثْلِ هَذَا، نَعَمْ **{لَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرًا لَكَ مِنْ حُمْرِ النِّعَمِ}** لَكِنِ لَا يَعْني أَنَّكَ تَحْتَرِقُ أَوْ تَبْخَعُ نَفْسَكَ أَوْ تَقْتُلُ نَفْسَكَ إِذَا لَمْ يَسْتَجِبْ لَكَ أَحَدٌ، أَنْتَ أَجْرُكَ ثَابِتٌ وَالعُقُوبَةُ عَلَى المُخَالَفِ، وَالنِّتَائِجُ بِيَدِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، وَمَنْ نِعِمَ اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- أَنْ رَتَّبَ الأَجْرَ عَلَى بَدْلِ السَّبَبِ لَا عَلَى النِّتَاجِ.

وَبَعْضُ الكُتَّابِ المُعَاصِرِينَ مَعَ الأَسْفِ أَنْ كُتِبَتْ تَتَدَاوَلُ فِي المَكْتَبَاتِ، يَقُولُ: إِنَّ نُوحًا فَشِلَ فِي دَعْوَتِهِ، يَعْني أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا مَا اسْتِجَابَ إِلَّا نَفَرٌ يَسِيرٌ؟! مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يُؤَثِّرَ عَلَى وَلَدِهِ وَلَا عَلَى زَوْجَتِهِ دَعْوَتُهُ فَاشِلَةٌ، مِثْلَ هَذَا يُقَالُ: فِي حَقِّ نَبِيٍّ؟! فِي حَقِّ رَسُولٍ؟! وَيَتَطَاوَلُ أَيْضًا عَلَى أَشْرَفِ الخَلْقِ وَيَقُولُ: إِنَّ مُحَمَّدًا فَشِلَ فِي دَعْوَتِهِ فِي مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ وَنَجَحَ فِي المَدِينَةِ **{فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا البَلَاغُ المُبِينُ}** (35) سورة النحل] الدُّعَاةُ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ الذِّينَ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ قَدْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِمْ، وَلَوْ فَتَّشْنَا فِي بَيْوتِ العُلَمَاءِ الكِبَارِ وَجَدْنَا فِي أبنَائِهِمْ مُخَالَفاتٍ، وَجَدْنَا فِي نَسَائِهِمْ مُخَالَفاتٍ؛ لَكِنِ هَلْ يَعْني هَذَا أَنَّهُمْ مَا بَدَّلُوا، بَدَّلُوا يَا أُخِي؛ لَكِنِ الهِدَايَةُ بِيَدِ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، لَا يَمْلِكُ القُلُوبَ إِلَّا اللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا-، أَنْتَ عَلَيْكَ بَدْلُ السَّبَبِ، كَثِيرٌ حَتَّى مِنْ طُلَّابِ العِلْمِ يَنْتَدِرُ يَقُولُ: شُوفِ فُلَانٌ انشَغَلَ بِدَعْوَةِ النَّاسِ وَتَعْلِيمِ النَّاسِ وَالمَصَالِحِ العَامَّةِ وَالمُخَالَفاتِ وَشُوفِ

أولادهم شو هم، نحن نعرف من شيوخنا من تقطَّع أسي على أولاده، وبذل لهم من جهده ووقته وماله ما يسعى به إلى إصلاحهم لكن ما بيده حيلة؛ لكن لا يعني هذا إنَّ الإنسان يُفْرِط في تربية أولاده ونسائه وأطريهم على الحق ثمَّ يقول: النَّتائج بيد الله، ابذل والنَّتائج بيد الله، أنت عليك بذل السَّبب. أه.

المقطع من تفسير سورة (ق) الدرس الثاني.